٤٣٦/١٦

جامعة اليرموك
كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية
دائرة اللغة العربية

غريب القرآن
تاريخا، تصنيفا، معايير

اعداد
محمد علي محمد جرادات

اشراف
الدكتور محيي الدين رمضان

١٤٠٥ هـ الموافق ١٩٨٥م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمـــــة

ما من شك في أن القرآن الكريم باعث نهضة علمية، ورائد فكـــر قويم، أذكى روح البحث والتأمل، فنشأ على هامشه أبحاث وعلوم، وازدهـــرت بـه معارف وفنون، اذ هيأ الله من عباده من خبس نفسه على هذا الكتـــاب العظيم، ففاضت بجهدهم ينابيعه، واشرقت باخلاصهم شمس معارفه وعلومـــه، فقرأوه، وفسروه، وأعربوه، وصنفوا فيه كتبا وأسفارا، ما زالت مرجعـــا للعلماء، والمتعلمين.

وليس ثمة كتاب في تاريخ العلوم الانسانية حظي بفيض من الدراسات كالقرآن الكريم، وهذا دليل اعجازه، ففيه من بديع النظم آيات، ومن اخبار الغيب معجزات، ومن كنوز العلم، والمعرفة فيوضات، لأنه الكتاب الذي لا تفنى عجائبه، ولا تخلق جدته، ولا يبلى على كثرة الرد.

وقد حوى التنزيل علوما كثيرة عظيمة، وكلها بعيد الغور، جليـــل النفع، واسع المرماد، كعلم التفسير والتأويل، والمحكم والمتشابه، وعلـــم الغريب الذي أكرمني الله ببحثه، وبيانه، على هدي ما وجد في كتب السلف من أحكام، واشارات، كانت تضيء لي طريق البحث حينا، وتجعلني أقـــف مترددا أحيانا، لأن الاجتهاد في قضايا لغوية تتعلق بالتنزيل، أمر عسير لطالب مثلي، تجربته محدودة، وزاده من علوم القرآن والعربية قليل، أخشى من الـــرأي، وأفزع من مغبة الحديث عما يتعلق بكتاب الله، لكنني مضيت مستعينا بما أثـــر عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال: من اجتهد فأصاب فله أجـــران، ومن أخطأ فله أجـــر.

ان صلتي بالقرآن الكريم هي صلة كل مسلم بكتابه، لكن صلتي بغريبه حديثة، ترجع الى فكرة طرحها استاذي المشرف، فكتبت بحثا صغيرا، عنوانـــه " نظرة في غريب القرآن "، ثم نسيت البحث، لأنه لم يكن الا نظرة وحسب، لكـــن استاذي الفاضل بعث الفكرة من جديد، فأشربتها، ثم استخرت الله ـ عز وجل ـ فشرح صدري، وشرعت أبحث، وأقف على ظواهر الغرابة التي أعياني مطلبهـــا، وعزت عليّ، فلم أحظ بها، الا بعد جهد ولأي.

أن تدرس ظاهرة ما، مسألة ميسرة في غالب الأحيان، لكن أن تضـــع معايير، وضوابط، ولغريب القرآن بالذات، فأمر صعب، وربما يتعذر أحيانـــا، لأن شرط المعيار أن يكون دقيقا، شاملا، يستوعب جوانب الظاهرة، وأبعادهـــا المختلفة، ومن هنا كانت مهمتي صعبة، فبدا لي الغريب نائيا قاصيا، عسيـــر

المطلب ، ثم أصبح لطيفا دانيا ، لما يسره الله من فتح مبين ، فوجدت فيه كل جديد مستطرف ، وحظيت بعلم وافر ، كما وجدت لفتي ونفسي قد بعثتا من جديد ، فشعرت بالاريحية ، والندى ، ووجدتني اتنقل في ظلال هذا الغريب ، الذي بدا وكأنه قطع من الرياض ، كسيت زهرا ، وتنوعت تطريزا ووشيا .

وقد خيّل الي من قبلُ أني لن أجد ما أكتبه في غريب القرآن ، حتى وقعت على كتب المعاني ، وكتب الغريب ، فأشرق وجهه ، وزالت غربته ، ثم اجتمع لي ما أقوله ، مستعينا على جلائه ، وكشفه ، واحالته الى ظواهر مختلفة ، بالرجوع الى اللغة ، وما تفرع من لهجاتها ، لأنها مظنة الغريب وموطنه .

وأحب أن أنبه الى حقيقة مهمة بشأن هذا البحث ، وهي تشعب جوانبه ، تبعا لتعدد ظواهر الغرابة ، مما يتطلب جهدا وصبرا عظيمين ، كما يتطلب قدرة على استيعاب الاراء في المسألة الواحدة ، ومناقشتها ثم التوفيق بينهما ، أو ترجيح بعضها على بعض ، أو اتخاذ رأي فيه نفحة من الاستقلال الذي لا شطط فيه ، ولا اجحاف بحق اللغة واهلها .

كانت مهمتي صعبة اذا ، لانني كنت اتنقل بين المستويات اللغوية جميعها ، فأجدني مرة مع التصريف ، واخرى مع النحو ، وثالثة مع الدلالة التي تنوعت مقاصدها ، ليس هذا فقط ، فالمسألة على هذا النحو سهلة هينة ، وانما عشت مع المستوى اللغوي الغريب البعيد ، فتجشمت عناء البحث ، وكثيرا ما كان يستوقفني لفظ غريب ، فلا أجد له عنوانا يتناسب وطبيعة غربته ، وكثيرا ما عانيت من الحيرة والارتباك ، لا سيما في بعض الحروف الغريبة التي تردد العلماء فيها .

كانت العنوانات مشكلة بالنسبة لي ، كالغريب نفسه ، لأنني أخشى أن يندّ مثال ما ، فلا يناسب العنوان ، وعندها يضطرب المعيار ، وتختل ابعاد الظاهرة ، لذا فأنني لم أضع عنوانا الا بعد استقصاء الأمثلة واستيعابها ، فاذا اجتمع من الشواهد ، ما يغطي العنوان فبها ، والا فلا ، كما أنني آثرت في ذلك كله الحرف الغريب ، وتنكبت ما سواه لتغطية الظاهرة المعنية .

صحيح أن شواهد الغرابة كثيرة ، لكنني لم أجد من وضع معايير شاملة ، ومستقصاة ، وكل ما حظيت به لم يتجاوز في معظمه اسباب اشكال الكلام ، وعدم وضوحه ، لكن هذه الاشارات أضاءت لي طريق البحث وأسعفتني في بعض جوانبه ، غير أنني لم أجد في كتب المتقدمين تصنيفا لظواهر الغرابة ، مما جعلني أعاني كثيرا ، وأخشى من قلة توافر الظواهر ، ومن ثمّ انتهي من حيث بدأت ، لكن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ايماني بتقديم عمل يقربني من الله - عز وجل - جعلني أقف طويلا، منقرا في بطون الكتب، حتى قرت عيني بما توصلت اليه، راجيا أن تكون دراستي خطوة جديدة على طريق الغريب.

وقد أثارت ظواهر الغرابة في نفسي أشياء كثيرة، فوازنت ونقدت، ثم تبين لي أن غريب القرآن، ليس فيه من الغرابة الا التسمية، في حين كان غريب اللغة وحشيا نافرا في جميع أحواله.

كما وقفت أمام المعرّب والدخيل، وقفة ناقدة فاحصة، بعد أن كشفت عن شأنه في اعجاز القرآن الكريم، ثم نبهت الى مسألة مهمة، وهي توسع العلماء كثيرا في هذه الظاهرة، وعدوا كثيرا من الألفاظ معربا، أو دخيلا، ثم خلصت الى بعض النتائج التي أرجو أن تكون محل درس، ونظر، وان كانت مراجعة لتراث لغوي سبقت كلمة العلماء فيه، لكنني وجدت بما لا يقبل الشك أن حجم المعرّب والدخيل محدود، وآثاره في التنزيل، والعربية، محدودة أيضا، وان كنا لا ننكر شأنه في الاعجاز القرآني، لكنه لم يتجاوز بحال من الأحوال، الحاجة اللغوية في ظروف خاصة متجددة، يشهد بذلك الحاضر اللغوي للعربية، حيث تقترض وتعطي، بما يضمن لها الاستقلال أولا، والحياة والنماء ثانيا.

وعودة الى الرسالة " غرابة اللفظ القرآني تاريخا، تصنيفا، ومعايير "، حيث وقعت في أربعة فصول، تباينت من حيث سعتها، فكان الفصل الثالث ممتدا امتداد الظواهر والمعايير التي غطت جوانب اللغة، ومستوياتها المختلفة، فكان بحق مركز الثقل في الرسالة، وارجو أن يكون موضع اهتمام الدارسين، لما فيه من اشارات لغوية طريفة.

وأما الفصل الأول فكان " مدخل الى اللغة وخصائصها "، وقد عرضت من خلاله، مفهوم اللغة وتطوره، اطوار تهذيب اللغة، وضع اللغة، اللهجة واللغة واللسان، عوامل نشوء اللهجات، اختلاف لغات العرب، اسباب ذلك ودواعيه، مظاهره ووجوهه، لغة قريش، اللغة التي نزل بها القرآن، عربية القرآن، اللسان غير العربي في القرآن، الأحرف السبعة، الأحرف السبعة والمصاحف العثمانية، القراءات السبع والاحرف السبعة، واسباب اختلاف القراء.

وأما الفصل الثاني فكان " أوائل التفسير ومصادر الغرابة، وجاء فيه: مفهوم التفسير والتأويل، الفرق بينهما، قيمتهما، الرسول - صلى الله عليه وسلم - والتفسير، نماذج من تفسيره عليه السلام، موقف الصحابة من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التفسير ، مسائل نافع بن الازرق ، الشعر مفتاح الغريب ، حاجة المفسر الى علم الغريب ، مصادر الغريب ، التصنيف في غريب القرآن ، خصائص عامة من خلال كتب مجاز القرآن وغريبه ومعانيه .

وأما الفصل الثالث ، فكان " معايير الغرابة " وفيه : دلالة الغريب ، الغريب والفصاحة ، الغريب والاعجاز ، وجوه غرابة اللفظ القرآني ، ظواهر الغرابة ، الظواهر الشكلية ، التصريف مفهومه ، أهميته ، منشأ الغرابة فيه ، مظاهر الغرابة ، الاشتقاق ، زيادات الافعال ، المصادر ، الصفات ، الجموع ، الاعلال ، مفهومه ، وجوه الغرابة فيه ، الابدال ، مفهومه ، وجوه الغرابة فيه ، علاقة التصريف بالقراءات وأثر ذلك في الدلالة .

ظاهرة اللهجات ، اللهجات المنسوبة ، علاقة المصاحف القديمة والقراءات باللهجات ، التصنيف في لغات القرآن ، علاقة اللغات بغريب القرآن ، مظاهر الغرابة في اللهجات ، الأصوات ، الدلالة ، التذكير والتانيث ، ثم انهيت الظواهر الشكلية بالحروف المقطعة وأهم الاقوال فيها .

وأما الظواهر المعنوية ، فبدأتها بالنظم ، وما يتفرع عنه ، نحو ائتلاف اللفظ من المعنى ، الحذف والاضمار ، المجاز ، مفهومه ، مكانته ، القرآن والمجاز ، المجازيين المتقدمين والمتاخرين ، الاستعارة مفهومها ومكانتها ، نماذج من مجازات القرآن واستعاراته .

ثم ظاهرة الاعراب ، مفهومه ، مكانته وغايته ، نماذج مشكلة ،

ظاهرة الدلالة اللفظية ، الوجوه والنظائر ، مفهومها ، الفرق بينهما ، التصنيف فيها ، نماذج منها ، الاضداد ، تشعب الدلالة ، الدلالة البعيدة ، تعين الدلالة واختلاف المراد ، الدلالة الخاصة ، اتساع الدلالة .

ظاهرة المعرب والدخيل ، مفهومها ، مقاييس المعرب واستعماله ، شأن المعرب في الفصاحة ، منشأ الغرابة في الدخيل ، نماذج منه في التنزيل .

ظاهرة المتشابه ، مفهومه ، علاقة المتشابه بالغريب والمشكل .

وأما الفصل الرابع فكان نتائج عامة آثرت أن تحمل عنوان " الغرابة وآثارها في الاعجاز القرآني " .وجاء فيه : شرف اللفظ القرآني وعلاقة ذلك بلغة قريش ، بين عربية القرآن ومعرّبه ، الغريب بين القرآن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واللغة ، بين مجازات القرآن ومجازات الكلام ، معايير الغرابة عند الاقدمين .

هذا هو الهيكل العام للرسالة ، وهذا فهمي وتصوري ، وهذا عملي أرجو أن يكون خالصا لله ، وأن ينفع به ، وارجو أن يغفر ذنبي ويستر عيبي، فليس ثمة عمل كامل ، لأن الكمال لله وحده ، كما أنني استغفر ربي من زلة لم اقصدها ، ومن تقصير لم أكن قادرا على تلافيه ، فأنا صغير صغير أمام كتاب الله العظيم .

ولا يسعني بعد هذا العرض الا أن أتقدم بالشكر الجزيل لجميع اساتذتي ، وأخص منهم أعضاء اللجنة الموقرة ، راجيا منهم أن أجد في توجيهاتهم ومناقشتهم طلبة الباحث الناشيء ، فما أنا الا طالب علم ، أنشد الحقيقة ، وأسعى للمعرفة .

والحمد لله أولا وآخرا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit